



التصوف الإسلامي

في الأدب والأخلاق

تأليف الدكتور زكي مبارك



أمامك صورة



الدكتور زكي مبارك
فتفرس فيها ثم
قل لي ماذا وقع
في حسابك منها .
إن كنت قرأت له
ما ألف وما كتب
في النقد والمناظرة
فستظنه خارجاً من
معرفة بولاقية كان
فيها شدُّ الشعور ،
ولكم الصدور، ونطح
الرؤوس ، وتمزيق
الملابس . وما هذا

الرواء البادي على وجهه وهندامه إلا خداع النظر أو فن المصور

وإن كنت قرأت له التصوف الإسلامي فستخيله لا يزال في
سنتريس (مريداً) للشيخ الطاوي الشاذلي يمكث على الأوراد ويشارك
في الإنشاد ، ويحمل الإبريق ، وينقر الدف ؛ فهو أشعث أغبر ضاوي
من أثر الذكر والصوم والعبادة

وإن كنت قرأت له هذا وذلك غب عي ظنك أن الرجل

قامت به حال نفسية جديدة دل عليها هذا المظهر الجديد؛ فإن إرسال
الشعر وتشيئه من سمات الفلسفة والتصوف والفن . وأنت واجد
في كتاب التصوف الإسلامي صفات وخطرات من كل أولئك
جميعاً . وفي رأينا أن هذا الكتاب يؤرخ تطوراً جديداً من حياة
صديقنا الدكتور ، هو طور التأمل والتعمق والتفوذ إلى صميم الجد
في الموضوع . وهو خليق بأن يسبل على ما تقدمه من مفاصماته
الجريئة في الرأي والفعل ستاراً من الصفح الجميل . وإذا كان الله
قد عود الشعراء والأدباء أنه يغفر لهم من ذنوبهم ما تقدم وما تأخر
بييت من الشعر أو خاطرة من الرأي فسا أخرى زكي مبارك
أن يدخل معه الجنة على حساب كتابه ألقاً من الأدباء المحرومين !
الحق أن كتاب التصوف الإسلامي بناء شامخ الثرى
في تاريخ الأدب . وأقوى ما يروعك منه الجهد والاطلاع والفهم .
وهذه الخصائص الثلاث هي ميزة الكتاب الجميل والبحث الجامع .
وإذا كان المؤلف قد نجح في « إبراز الملامح الأدبية والمخفية
للزعة الصوفية » فانه نجح كذلك في كشف ناحية من الأدب
العربي والفكر الإسلامي كان الأدباء المؤرخون يمررون عليها
معرضين ، كما يمر السائح الغفلان على منجم الذهب فلا يرى إلا الصخور
وحجارة . والصوفية هي الزعة الوجدانية الصافية في الفطر
السليمة ، ولها في الأدب والخلق والفلسفة والحياة إشعاع هادٍ
كإشعاع الحق ، وكان لابد لهذا العنصر الباهر المجهول من (مدام
كوري) في زكي مبارك تهك الجسم والصب ، وتفنق الوقت
والذهب ، في سبيل كشفه

لا أريد أن أعرض لك انكتاب ولا أطيق الآن أن أحله وأنقده ،
فهو يقع في نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير ؛ وعرضه وتحليله
لا يفيناك عن مطالعته شيئاً . وكل ما أقوله لك إنك ستجد
ركي مبارك فيرجلاً آخر غير الشاب الذي عرفته في سائر كتبه .

هو طابع دراساته . ولكن تقرير الحوادث والوقائع عنده خاضع لمحاكمة النقد العليا التي تستزل أولياتها من المنطق التاريخي ، ومن هنا جاء ما لدراسات الرجل من قيمة

والرجل يمتاز بكل سمات العالم في بحثه ، من سلامة النظر وسعة الاطلاع والزاهة وهدوء الطبع . غير أنه ينقصه التحليل في عمقه . وطابع التقرير يوقفه كثيراً عند ظواهر الأشياء دون أن يستجلى بواطنها . ولا أدل على ذلك من نظرة سريعة لموضوعات مقالاته التي نشرها بعنوان « فيض الخاطر » ؛ فهو في المقال الأول يتكلم عن « الرأي والعقيدة » ، ويرى الرأي شيئاً والعقيدة شيئاً آخر ، وهو يذهب في كلامه مولياً وجهة من النظر تذكرنا بوجهة الفنان توفيق الحكيم في المقال الأول من كتابه « تحت شمس الفكر »

يرى الأستاذ أحمد أمين مكان الرأي الدماغ؛ أما العقيدة فكانها القلب . والواقع أن هذه التفرقة اعتبارية محض ، فضلاً عن أن القسمة غامضة ، فنحن لا نعرف من القلب معنى غير الشعور والإحساس الباطني ، ومثل هذا الشعور والإحساس الباطني ليس الرأي يعيد عنه . وكمن رأى هو وليد الشعور الباطن والإحساس الداخلي

وفي هذا المقال يرى الكاتب أن الإيمان بالشيء يستتبع العمل على وفقه لا محالة ؛ غير أننا نلاحظ أن الإيمان شيء والعمل شيء آخر ، وليس الإيمان بالشجاعة أو الكرم من الأسباب التي تجعل المرء كريماً أو شجاعاً ؛ فالكرم عادة وخلة تغلب على الطبع ، والشجاعة قوة للتغلب على المكاره مردّها النفس ، وليس للعقيدة دخل فيها ، وإن كانت العقيدة تتلون بها

وفي المقال الثاني يتكلم الكاتب عن « الكيف والكم » ويقدر أن تقدير الأشياء بالكم شيء يرتبط بالطفل في نشأته والأمة في طفولتها . ولما كان كل إنسان مرّ في طور الطفولة ، والأم جميعها مرت بهذا الطور ، لهذا علق بالذهن الإنساني تقدير الأشياء بكمّتها . وهذا كلام صحيح ولكن يغلب عليه التقرير دون التحليل ، لأن التحليل يستلزم النظر في أسباب ارتباط تقدير الأشياء بكمّها بطور الطفولة عند الإنسان

وفي المقال الثالث عن « صديق » تجد الكاتب يولى وجهة من التقرير للأمور ، فيدع في عرضه وتصويره ، ولكنه لا يتناول

فيض الخاطر

مجموع مقالات أدبية واجتماعية له الأستاذ احمد امين

للدكتور إسماعيل أحمد أدم

—

وهذه مقالات بعضها نشر في مجلة « الرسالة » وبعضها نشر في مجلة « الهلال » ، والبعض الأخير لم ينشر في هذه ولا تلك ؛ جمعها كاتبها أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، في كتاب إجابة لدافع عزيزة حب البقاء ، لأنها — مجموعة — أدل منها متفرقة ، وفي كتاب أبن منها في أعداد

والأستاذ أحمد أمين من كبار المؤرخين المعاصرين في العربية ، يدين له تاريخ الحياة العقلية في القرنين الأول والثاني للهجرة بأحسن ما كتب في دراسته من سبل التحقيق في التاريخ . غير أن كتابة الرجل وإن ظهرت عليها مسحة من التدبر العلمي في استقصاء الأسباب وربط النتائج لها كمنظر تحليلي ، فإن التقرير دون التحليل

وركي مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق — مجاهد بأسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم في الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالكبد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يتم مجدهم الأدبي على الظروف والحظ . وإذا كان الحظ قد وقع في حياته فهو الحظ المنكود . لأنه تعلم بكدح قلبه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التي تساعد غيره تلح عليه بالانكسران والحرمان من غير هوادة

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله . وهي صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق . ولكنها آتية إليه من وراء الوعى على ظن أن الناس يتكرون عليه فضله وينفسون عليه مكانه

ولو استطاع زكي مبارك أن يمتلق الظروف ويصانع السلطان ويخندق شيئاً من فن الحياة (Savoir-vivre) - لائق كثيراً مما جرت عليه بدواة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأعراض النفسية ستفتى فيه وفي الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمي الضخم الذي قدمه إلى الأدب العربي في شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته في النهضة . الزيات

خاضع للنطق، وأن له غرضاً يسير إليه وليس يسير حسب اتفاق،
وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير

أما كون العالم محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير فهذا صحيح، وكونه
خاضعاً للنطق صحيح؛ أما أن يستخلص من ذلك أن العالم له
غرض يسير إليه وليس يسير حسب اتفاق فهذا مما لا نوافق
الكاتب عليه. فيصح أن يكون العالم سائراً حسب اتفاق وليس له
غرض، ومع ذلك تراه خاضعاً للنطق محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير

أما بيان ذلك فقد استوفيناه في بحث سابق منشور بعدد
أغسطس سنة ١٩٣٧ من مجلة (الإمام) وفي مقال كتبناه بعدد مارس
سنة ١٩٣٨ من مجلة (المقتطف)

والكاتب يمتاز أسلوبه بإثراق الדיباجة ودقة التعبير، غير
أن أسلوبه ينقصه السرعة والهزة التي تجذب النفس، فن هنا
لا يمكن اعتباره أسلوباً أدبياً

والكتاب في المجموع دراسات قيمة تمتاز بوجه عرضها
للموضوع الذي يبلغ به الكاتب أحياناً منزلة الجودة الفنية،
نذكر من هذه الموضوعات «سلطة الآباء» و«من غير عنوان»
و«منطق اللغة» «أبو زيد» «اسماعيل أحمد أرهم

يحيته وجه تحطم صديقه من التناقض الذي في نفسه. هذا...
وهل يمكن أن يوجد إنسان ليس له وحدته النفسية إلا ويكون
منحلاً شخصية إلى شخصيات، وإذن كان الوجه التحليلي
في هذا الموضوع أن يتناول الكاتب يحثه تداخل الشخصيات
التي أحمل إليها شخص صديقه، ويبين أثر هذا التدخل في إيجاد
الاضطراب في نفسه حتى انتهى إلى تحطيمه

وفي المقال الرابع كلام عن «أدب القوة وأدب الضعف»
ظاهره جميل، ولكن أدب الضعف الذي يلمسه الكاتب في الأدب
العربي أليس صورة صادقة من الحياة العربية؟ إذن ماذا يطلب
الكاتب؟ أيريد من الخراف أن تلبس جلد الأسود؟ هذا يخرج
بالسؤال عن الصدق، والصدق أساس الأدب عند الكاتب...

أظن هذه أمثلة وإن كانت سريعة موجزة خطوطها إلا أنها
كافية لتثبت أن الكاتب يقف عند حد التقرير فيما يكتب. لكن
سلامة النظر وسعة الاطلاع وهدوء الطبع تجعل التقريرات التي
يقرها الكاتب تتسم بميسم الصدق والواقع في العموم. وهذا
لا يمنع أن يتسرب في بعض الأحيان بعض الخطأ إلى تقريرات
الكاتب، غير أنها قليلة في المجموعة، نذكر منها قوله إن العالم

إعادة عرض فيلم

ماري أنطوانيت

نورما شيرر مع تايرون باور

صرحت وزارة الرافلية بإعادة عرض فيلم ماري أنطوانيت بروود مزف أي شيء منه

وسيعرض في

سينما ستة وديو مصر

ابتداء من يوم الاثنين ٢ يناير سنة ١٩٣٩